



## الجهود النقدية عند الشاعر الفرزدق

م. د خالد عبد الله كاظم حسين

جامعة واسط / كلية التربية الأساسية

[Kabdulla@uowasit.edu.iq](mailto:Kabdulla@uowasit.edu.iq)

## المخلص :

يحاول البحث الإجابة عن أسئلة تردت في أذهان الكثير من الدارسين للأدب العربي ، تخص تطور النقد العربي القديم ، ومعرفة دور الشاعر القديم واسهاماته في تطور العملية النقدية المصاحبة لقول الشعر ، فكانت جهودهم في هذا المجال جهود تستحق التوقف والدراسة ؛ بوصفهم مبدعين ومتلقين للنصوص في آن واحد ، والشاعر حين ينظر في نصه أو نص غيره من الشعراء ، عندها يبدأ بفحص النصوص وتقويمها والنظر فيها ، بوصفه باثاً ومتلقياً في الوقت نفسه ، إذ تمثل آراءهم في هذا المجال نقلة مهمة في تاريخ النقد العربي القديم ، ونشوء النظرية النقدية العربية ؛ كونها نابعة عن تجربة حقيقية صادقة ، لا مجرد تنظيرات بعيدة عن واقع النص .

والشاعر الفرزدق واحدٌ من أولئك الشعراء ( النقاد ) ، الذين أسهموا اسهاماً واضحاً وكبيراً في ردف مسار حركة النقد العربي القديم بالكثير من الآراء والمواقف النقدية ، التي تكشف عن امتلاكه الحس النقدي الناضج ، فهو الشاعر والعالم بالشعر العربي القديم وفنونه وأسباب القول فيه ، وهو العارف بأسرار اللغة وغريبها ، بإجماع معاصريه من نقاد ورواة وأهل لغة وأخبار ، فجاءت هذه الآراء النقدية المهمة ؛ لتعبر عن موهبة وثقافة ورؤية تقويمية ثاقبة ، مكنته في الكشف عن مواطن القبح والجمال ، وتقويم الكثير من النصوص التي كانت محط الاهتمام ، وإرشاد أصحابها إلى مواطن القول الصحيح ، وبما يوفر لهذه النصوص الابتعاد عن مواطن الضعف والخلل ، والوصول الى مرحلة النضوج والكمال وهي غاية كل المبدعين .

الكلمات المفتاحية : الفرزدق ، النقد العربي القديم ، الشاعر الناقد .

## Farazdaq's Critical Achievements

Khalid Abdullah Kadhum

University waist /collage of basic education

[Kabdulla@uowasit.edu.iq](mailto:Kabdulla@uowasit.edu.iq)

Abstract



This paper investigates questionable areas in early Islamic Arabic criticism as to emergence, achievements, and poetry-specific roles, which are all worth a deeper and further analysis. Early Arab poets used to scrutinize and evaluate texts and thus held views and attitudes concerning structure, devices, and purposes implicated. The emergence of early Arabic criticism, therefore, originated from real experiences and not only textual analyses. The early Arab poet, Farazdaq, was thus one of those critics-poets. Being a linguist, poet, and philologist, he held several views and theses concerning poetry, as many contemporaries posited. Farazdaq had a different understanding of rhymes and poems by drawing on the aesthetic aspects of poetry in order to reach intentions and unfold structures.

**Keywords:** Farazdaq, early Arabic poetry, Arabic criticism, poetic analysis.

#### الشاعر العربي القديم والممارسة النقدية :

أسهم الشاعر العربي القديم اسهاماً واضحاً في تطور العملية النقدية المصاحبة لقول الشعر، وظهر هذا الجهد فيما أوردته المصادر الأدبية من نصوص نقدية ناضجة، ضمت بين طياتها أحكاماً نقدية مكتملة، شكلت فيما بعد النواة التي تمركزت حولها قضايا النقد العربي القديم، إذ أصبحت هذه الآراء من اللبنة الأولى التي أسهمت في نشوء النظرية النقدية العربية في وقت لاحق.

إن ممارسة العملية النقدية من قبل الشعراء ظاهرة قديمة، تجلت مظاهرها أو ملامحها الأولى في العصر الجاهلي، وبالتحديد عند مدرسة: (عبيد الشعر) المتمثلة بأوس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى، والحطيئة، إذ كانوا يمارسون النقد الذاتي على قصائدهم التي سميت فيما بعد بـ (الحواليات) ، فهم في عملهم يمارسون عملية نقدية على إبداعهم الشعري، والغرض من ذلك كله التجويد والمراجعة ومغادرة مواطن الضعف والوهن فيها؛ ففي أعماق كل مبدع يكمن ناقد، وإن لم يمارس النقد على أدب غيره، لكنه من المؤكد قد مارس النقد على أدبه، تصحيحاً، وتشذيباً، وإعادة، من دون أن يعي في كثير من الأحيان أنه يمارس عملية نقدية فعلية، بل ذهب في اتجاه آخر، ليقف عند نمط مختلف من الإبداع؛ يتمثل بمجموعة من الآراء النقدية، والانتقادات الناضجة، في تقويم شعر غيره من الشعراء والوقوف عند مواطن الضعف والخلل التي رافقت نتاجهم، وهي آراء تعكس وعياً وخبرة وثقافة؛ جعلتهم مؤهلين لوصف خاص بهم وهو ما أطلق عليه (الشعراء النقاد)، الذين مارسوا النشاط النقدي مع نشاطهم الإبداعي الأول المتمثل بنظم الشعر.



ولا يفوتنا في هذا السياق ذكر أولى المحاولات النقدية التي تحتفظ بها كتب تاريخ الادب العربي (ينظر: الجمحي: ١٩٨٠، الجاحظ: ١٩٦٠، الاصفهاني: ١٩٧٣)، ومنها ما جاء على لسان ( أم جندب ) زوج الشاعر أمرؤ القيس ، إذ أصدرت الحكم فيها لصالح علقمة الفحل، وقصة النابغة الذبياني وقبته الحمراء بسوق عكاظ، وما نتج عنها من أحكام نقدية وملاحظات وآراء وانطباعات، كانت محط اهتمام الشعراء والمتذوقين، كذلك المحاورة التي جرت بين النابغة وحسان بن ثابت بشأن الشاعرة الخنساء، والتي حكم فيها النابغة للخنساء على حسان بن ثابت، وغيرها الكثير من المواقف التي تعبر عن ذائقة العرب النقدية الأولى في ذلك الوقت.

كانت تلك الأحكام في الأعم الغالب تصدر عن مواقف العفوية، والذاتية التلقائية، والتي تستند على عاملي: الاستحسان والاستهجان الفطريين، إذ يواجهان المسموع من الشعر؛ فيفضيان الى إصدار الحكم النقدي، من دون أن يقدموا تعليلاً في كثير من الأحيان، لذا يوصف هذا النقد بأنه: (نموذج يجمع بين النظرة التركيبية، والتعميم، والتعبير عن الانطباع الكلي، دون اللجوء الى التعليل أو تصوير ما يجول في النفس بصورة أقرب الى الشعر نفسه) (عباس: ١٩٧١، ١٣)، وكانت النتيجة لذلك هي اطلاق أحكام عامة، كأشعر الناس أو أشعر أهل عصره أو أهل الجاهلية أو أهل الاسلام أو القبيلة، ثم انتقلت إلى الحديث عن الموازنة الثنائية بين شاعرين وتفضيل أحدهما على الآخر، أو في عملية نقدية أخرى جاءت مرحلة المفاضلة بين الأبيات على أنها أفضل ما قيل في غرض شعري معين، فوجدنا أفضل بيت قيل في المديح أو الفخر أو الهجاء أو الغزل، وهذا ما يدفع إلى خلاصة القول في نقد هذه المرحلة أنه (يدور في مجال الانطباعية الخالصة والأحكام الجزئية التي تعتمد على المفاضلة بين بيت وبيت أو تميز البيت المتفرد أو إرسال حكم عام في الترجيح بين شاعر وشاعر آخر) (عباس: ١٩٧١، ٤٥)، إذ لم يكن هذا النقد مبنياً على قواعد فنية ثابتة، بل كان عماده سلامة الذوق والبديهة الحاضرة، وبعبارة أدق ( كان نقداً هيناً يسيراً ملائماً لروح العصر وملائماً للشعر العربي نفسه) (ابراهيم: ١٩٧٤ : ٣٥)

وحين نصل الى العصرين الإسلامي والأموي، نجد المحاولات النقدية الصادرة عن الشعراء النقاد قد بقيت تدين بالولاء للمحاولات الجاهلية الأولى، إلا أنها جنحت في بعض الأحيان الى الدقة وشيء من التعليل الذي افتقدت إليه النماذج الجاهلية، مع تحديد في صياغة الأساليب والمعاني على وفق مقاييس جمالية وفنية بسيطة، يعزز ذلك الذوق والشعور اللذين استندا إلى حاسة فنية اكتسبها الشاعر الناقد من كثرة مراجعته للشعر وحفظه للنصوص الكثيرة؛ مما اكسبه حاسة فنية مكنته من معرفة جيد الشعر من رديئه وصحيح وزنه من فاسده، وهذا ما ينطبق على النقود الواصلة من هذين العصرين،



كأحكام حسان بن ثابت حين استشاره الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في حادثة الشاعر الحطيئة وقصيدته المشهورة في هجاء الزبرقان، وكذلك حكمه النقدي في قصيدة النجاشي التي هجا فيها بني العجلان، فضلاً عن اللقاءات الأدبية التي كانت تعقد آنذاك في مجالس الخلفاء والامراء أو في المساجد أو في أسواق العرب ولا سيما في العراق وسوق المربد الذي اشتهر بمجالسه الشعرية التي قدم الشعراء من خلالها إبداعاتهم الشعرية والآراء النقدية المصاحبة لقول الشعر، وهي تكشف عن جوانب الجودة أو النقص فيه، ويمثل ثلاثي الشعر الأموي ( جريز والفرزدق والأخطل ) طليعة هؤلاء الشعراء النقاد، وخاصة الشاعر الفرزدق الذي تمتع بحس نقدي وموهبة فائقة بنقد الشعر ، جعلته حكماً بين الشعراء وهم يعرضون نتائجهم بين يديه على ما تروي الكثير من المصادر الأدبية(ينظر: الجمحي ١٩٨٠ : ٣١٧/١ ، ٣٢٩، ٣٢٧)، وهذا يعني اننا أمام شاعر ناقد يمتلك سلطة الشعر والنقد .

وفي خضم الممارسة النقدية والآراء الصادرة من كل المهتمين بصياغة الشعر وتقييمه ، يظهر لنا نمطان من النقد تبعاً لدور كل منهما في تفسير وتقييم العمل الأدبي ، والوصول إلى غاية المبدع وماذا أراد أن يقول، وهذان النمطان هما:

١- النمط الأول: الذي يمارس العملية النقدية، ويتعامل مع النصوص الأدبية بالفحص والتحليل من دون أن يكون ناظماً أو مبدعاً لهذه النصوص، إذ يسخر موهبته، وأدوات ثقافته الخاصة التي تؤهله لفهم النص الأدبي، وتفسيره، وتقييمه ليصل إلى مرحلة إصدار الحكم النقدي الذي يمثل نظرة الناقد لا نظرة الشاعر، أو مبدع النص، وهو حكم لا يصل إلى الحقيقة الدقيقة في كثير من الأحيان؛ لأنه مبني على التخمين، ولم يكن نابغاً من النص أو معبراً عن معاناة المؤلف وخصوصية تجربته.

٢- النمط الثاني: ويمثل الشعراء الذين مارسوا العملية النقدية فضلاً عن ممارستهم العملية الإبداعية في نظم الشعر، إذ تصدوا في كثير من الأحيان للنصوص الشعرية بالنقد، والفحص، والتحليل، فهم الأقرب لفهم مقصدية الشاعر، وماذا أراد أن يقول، فالشاعر الناقد أكثر قرباً من روح الشعر وطبقاته وأسراره الداخلية، إذ ان الشعراء النقاد هم الذين أظهروا قدرة الإبداع الشعري، تقابلها قدرة الإبداع النقدي، وقد حفلت كتب النقد الأدبي بالكثير من الأمثلة الصريحة والواضحة لهذه المواقف، ولكثير من الشعراء والذي يمثل الفرزدق العلامة الناصعة في هذا السياق.

وهنا لابد لنا من عرض الآراء التي تذهب مع تأييد أن يكون الشاعر ناقداً لنصه، أو نصوص غيره من الشعراء، وهي قضية شهدت جدلاً واسعاً بين أهل اللغة والأدب، ورواة الشعر ومتلقيه،



فالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) يذهب إلى رأي صريح في تفضيل الشعراء الذين مزجوا بين العملية النقدية، وصناعة الشعر وقوله، إذ يقول في هذا السياق: (البصر بهذا الكلام في رواة الكتاب أعم، وعلى السنة حذاق الشعر أظهر) (الجاحظ: ١٩٦٠، ٤/ ٢٤) فهو يؤكد على أن النقد هو تخصص الأديب الذي أبدع النص الشعري، ولا يمكن أن يكون اختصاص من اشتغل باللغة والنحو وجمع الأخبار، فهم لا يحسنون إلا ما يتصل بتخصصاتهم، والتي تكون في كثير من الأحيان بعيدة عن فهم مغاليق النص الشعري، والكشف عن مواطن الجمال فيه، فالشاعر هو صاحب التجربة، وما يصحبها من معاناة في النظم والبناء، ومن هؤلاء الذين لم يعانون هذه التجربة، وهذا ما يؤكد في نص آخر إذ يقول: (طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة، فوجدته لا ينقل إلا ما يتصل بالأخبار، وما يتعلق بالأنساب والأخبار، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب) (الجاحظ: ١٩٦٠، ٣/ ٩٥)، وهي إشارة واضحة وقيمة، فهو يشير إلى أن الدارسين القدامى لم يرضوا أن يجعلوا الشعر بأيدي اللغويين، ولكنهم أطمأنوا إلى الأدباء والكتاب، ويرضوا أن يكونوا نقدة الشعر، وينهضوا بالدور الذي ظل حقة يتنازعه الشعراء واللغويون، وهي إشارة ذكية من قبل الجاحظ إذ يقر أن النقد عملية تقترب من الإبداع، وأن خير من ينهض بها هم الشعراء الذين يتمتعون بسمة الذوق والاستعداد الفطري، وإن كانت هذه المهمة، أي عملية انتقاد الشعر أصعب من عملية نظمه، وهذا ما يؤكد أبو عمر بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) إذ يقول: (انتقاد الشعر أشد من نظمه، واختيار الرجل قطعة من عقله) (الإصفيهاني: ١٩٩٩، ١/ ٩٣)، وهذا دليل على أن العملية النقدية التي يمارسها الشاعر؛ هي أصعب بكثير من عملية النظم الشعري التي سبقت هذه الخطوة، فالشاعر في صلة دائمة بالنقد؛ لأنه يحرص كما يحرص صاحب البضاعة على معرفة رأي الجمهور، وما يروج في الأسواق، فبضاعة الشعر مثل بضاعة التجار، تنتج لصاحبها الشهرة والمكانة المرموقة، فالشاعر الناقد يعرف من أسرار الشعر ونظمه ما لا يعرفه الناقد غير الناظم للشعر، وهو يعرف ما يرافق عملية الأبداع من ضعف وقوة، وما يؤخذ على قول الشاعر من نقد فني.

قليل لبشار بن برد، أن يونس بن حبيب وأبا عبيدة يفضلان شاعر على شاعر آخر، فقال: (ليس هذا من علم أولئك القوم، إنما يعرف الشعر من يضطر إلى أن يقول مثله) (الباقلائي: د.ت ١٥٦/١)، فمبدع النص هو أقرب الناس إلى نتاجه، وأن الناقد مهما كان موفقاً فهو لا



يعرف ما يعرفه الشاعر عن نصه أو نص غيره من الشعراء ؛ لأنه لم يعيش التجربة ، ولم يعاني مرارة إنتاج النص ، ولم يحس بذلك الشعور المصاحب لعملية الإبداع .

ويؤيد ابن رشق القيرواني(ت٤٥٦هـ ) آراء من سبقه في هذا السياق إذ يقول : ( أهل صناعة الشعر أبصر من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ) (القيرواني: ١٩٧٢، ١١٧/١)، فمهما بلغت مهارة الناقد ، فهو لا يعرف عن الشاعر وتجربته ما يعرفه عن نفسه ، ولم يعرف معاناته في لحظة الإبداع ، وهذا ما ذهب إليه البحري (ت٢٨٠هـ ) أيضاً حيناً يطرح أمامه رأي نقدي لثعلب ، فيقول : ( ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه، ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، إنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه) (القيرواني: ١٩٧٢، ١١٧/١).

ويتفق بعض النقاد المحدثين مع آراء من سبقهم في تأييد صحة مقولة الشاعر الناقد ، ومعرفته بأسرار النظم أكثر من غيره ممن لم يزاول قول الشعر ، وهنا ينقل الناقد الأمريكي رينيه ويليك ، قولاً عن الشاعر الإنكليزي ت. س أليوت ، وهو يعرف النقد فيقول ( هو نقد الشاعر الذي ينتقد من أجل ان يخلق الشعر ) (ويليك: ١٩٨٧، ٤٠٨)، ويعزز هذا الرأي في مكان آخر ، إذ يخصص الحكم على الشعر بالشعراء وليس كل الشعراء بل أفضلهم ، يقول : ( الحكم على الشعراء هو من اختصاص الشعراء ، ليس كل الشعراء بل أفضلهم ) (اليوت: دت، ٧٨).

فالنقاد مهما كانت ثقافته ، ومهما كان حاذقاً في عمله ، سيضطر في النهاية لأن يسأل نفسه ان كان قد استطاع التوصل في عمله النقدي إلى ما أراد الشاعر أن يقول ، أو يعبر عنه من معان في نصه الإبداعي ، ولو ( اشتمل كل شاعر على قدرة بسيطة بالشعر ونقده بما يتناسب مع موهبته الشعرية ، لكان كل شاعر ناقداً ) (المطليبي: ١٩٨٦، ١٠)، فالشاعر الناقد هو الخالق الحقيقي للعمل الفني ، والنص الإبداعي ، والمدافع عنه في الوقت نفسه ، فضلاً عن الأسباب الأخرى التي تدفع الشاعر لكي يقوم بمهمة الناقد الناجح والموضوعي ، لذا يمكن إيجاز الأسباب التي دعت الكثير من النقاد القدامى والمحدثين إلى تفضيل الآراء النقدية الصادرة عن الشعراء النقاد عن غيرها من آراء النقاد غير الشعراء بالنقاط الآتية :

١- ان هذه الآراء النقدية نابعة عن تجربة صادقة ، ومعاناة حقيقية ، لا مجرد تنظيرات تصويرية ، فعملهم في قول الشعر أكسبهم المقدرة والخبرة في الكشف عن طبيعة العملية الإبداعية والصعوبات التي يواجهها الشاعر في عملية النظم الشعري .



- ٢- إنمازت هذه الآراء بالجرأة والصراحة والقدرة على توجيه النقد إلى غيرهم من الشعراء من دون خوف أو تردد ، وهذا ما افتقده الأقل شهره منهم ، إذ إن أغلب النقاد ولا سيما الأعلام منهم ، لأن ذلك سيعرضه للسخرية ، كما ان الاهتمام بما يقولون سيكون دون مستوى الطموح .
- ٣- إن مكانة هؤلاء الشعراء ( النقاد ) جعلتهم محط أنظار المتلقين الذين كانوا فيهم الأنموذج الأمثل والمتفهم لهذا اللون ، وبالتالي يمكن من خلالهم معرفة جيد الشعر من رديئه ، ومواطن الضعف والوهن في نظمه ، وهذا شيء يفنقر إليه الشعراء الأقل شهرة ، أو ممن لم يمارسوا العملية النقدية الفعلية .
- ٤- إن النقود الصادرة عن هؤلاء الشعراء النقاد توفر الفرصة المناسبة لغير الناقد منهم ، لمعرفة مدى التطابق بين الآراء النقدية الصادرة بحقهم ، وبين نتائجهم الشعري ، والذي يعبر عن تجربة كل واحد منهم .

#### الفرزدق ومكانته بين النقاد :

هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن سفيان بن دارم بن مجاشع ، عرف بالفرزدق ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) ، في أسرة لها شأن كبير في تميم (الجمحي: ١٩٨٠ ، ٢ / ٢٩٧ - ٤٣٧ ، الجاحظ: ١٩٦٠ ، ٦ / ٢٢٦ ، ابن قتيبة: ١٩٦٦ ، ١ / ٤٧١ - ٤٨٢) ، وهو تميمي دارمي مجاشعي ، ودارم بطن مشهور من بطون تميم ، وقد ورد ذكر رجالهم في كتب التاريخ قبل الاسلام وبعده (الجاحظ: ١٩٦٠ ، ١ / ٣٣٦) ، وذلك الذكر يدل على منزلة الدارميين في قبيلتهم تميم ، وفي صباه أخذه ابوه إلى الامام علي (عليه السلام) ، ذاكراً تفوقه في قول الشعر ، فنصح به بان يعلمه القرآن (الاصفهاني: ١٩٧٣ ، ٢١ / ٢٨٣) ، واحتل الفرزدق مكانة مرموقة بين شعراء الشعر العربي القديم ، فكان أحد الثلاثة الذين عدهم النقاد فحول الشعر الأموي ، والذين صدر بهم ابن سلام الطبقة الأولى من طبقات فحول الشعر الإسلامي (الجمحي: ١٩٨٠ ، ١ / ٢٩٨) .

ومثلما تعلق الفرزدق بعبادات الجاهلية في ظل تلك الاسرة العريقة العتيبة ، فقد ورث اعتزازاً شديداً بالنفس ، وهو أمر طبيعي لرجل عاش في كنف صعصعة وغالب ، فهو لا يجد آباءه يلقون شأننا عن الخلفاء واجدادهم من بني امية ، فحين تقرب من الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ) وقف موقفاً شديداً معه ، حين افتخر بنفسه قائلاً :



تالله ما حملت من ناقة رجلاً مثلي إذا الريح لفتني على الكور(الفرزدق: ١٩٣٦، ١٨٩-١٩٠)

ورفض ان يكمل قصيدته واقفاً ، معللاً موقفه بالقول : ( انا من قوم منهم أوفى العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر العرب ) ( ابن ابي الحديد: د.ت، ٤٢٧/٣ ، ابن عبد ربه: ١٩٤٠ ، ١٩٣/٢ ) . وهذه الحادثة تكشف لنا بجلاء شدة اعتزاز الفرزدق بنفسه ، واعتداده بشرف قبيلته ، فرفض الفرزدق لأمر سليمان هو بحد ذاته يمثل تحدياً للخليفة ، ، بغض النظر عما يمكن ان يسفر عنه هذا الرفض من نتائج .

وتناول العديد من النقاد مكانة الفرزدق ومنزلته ، إذ يشير أبو عبيدة معمر بن المثنى ( ت ٢١٠ هـ ) إلى المكانة التي حظي بها الفرزدق بين الشعراء المسلمين بقوله : ( ليس في الإسلام مثل حظّ تميم في الشعر ، وأشعر تميم جرير والفرزدق ) (الاصفهاني: ١٩٧٣ ، ٢٨٤/٢١ ) ، فأبي عبيدة يفضل شعراء تميم على جميع الشعراء الإسلاميين ، ثم يضع الفرزدق في مقدمتهم ، ويشبه شعره بشعر زهير في الجاهلية (الدينوري: ١٩٦٦ ، ١١٣/١) .

وحين انبرى ابن سلام الجمحي ( ت ٢٣٢ هـ ) ، ليضع الشعراء بحسب طبقاتهم أخذ بالحسبان امكانياتهم الفنية ، نجد الفرزدق يحتل منزلته المرموقة عند ابن سلام ، فيضعه على رأس الطبقة الاولى من الشعراء الإسلاميين (الجمحي: ١٩٨٠ ، ١ / ٢٩٧-٢٩٨) .

اما من حيث النتائج الشعري ، فيعد الفرزدق أحد الشعراء الذين اتسم شعرهم بالجزالة والتمكن من اللغة ، فقد أطل في ذكره اللغويون والنحاة وأصحاب الأخبار ، فقد اتسم شعره بالجزالة والتمكن من اللغة ، الأمر الذي دفع يونس بن حبيب ( ت ١٨٢ هـ ) إلى القول : ( لولا شعر الفرزدق لضاع ثلث اللغة ) (الاصفهاني: ١٩٧٣ ، ٣٩٥/٢١) ، ويضيف الجاحظ ان الفرزدق : ( كان راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم ) (الجاحظ: ١٩٦٠ ، ٣٢١/١) ، وهي إشارة واضحة وصريحة إلى سعة معرفة الفرزدق بأخبار الناس وشعر الشعراء ، ويقول ابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ ) ، : ( كان الفرزدق مُعِنًا مُفِنًا يقول في كل شيء ) (الدينوري: ١٩٦٦ ، ٤٧٣/١) ، أي انه كان متمكناً يجيد جميع فنون الشعر .

وكان من المولعين بالغريب ويورده كثيراً في شعره ، ومن المعروف ان غلظة طباع الفرزدق وجفاءه وعجرفته وتعلقه بالقديم ؛ جعلت هذا الغريب ليس مذموماً ، لأنه غلب على معظم شعره ، وشهد له النقاد بهذه الخاصية . إذ يرى أحد الباحثين المعاصرين ان غريب الفرزدق لم يكن متكلفاً ، ولا يعيب شعره لأن هذا الشاعر ( قوي على معجم اللغة العربية ، فترأت في أشعاره الألفاظ والصيغ



التي قل استعمالها ، فبعثها الفرزدق من مرقدتها لتتألف في شعره ، كان يجيد في أحيائها إحياء المعنى نفسه الذي لا يؤديه سواهما ، ولعله كان يرى في ثقل صياغة بعضها أو ضخامة أصواتها وخشونة جرسها ؛ معيناً لما يريد ان يوحي به من معان أو ما يضيئه من ظلال ) (الفرزدق: ١٩٣٦ ، ٤٣٧).

وعلى الرغم من ان يونس بن حبيب كان يقدم الفرزدق على غيره وهو أحد رواة شعره (ينظر:

الفرزدق: ١٩٣٦ ، ٧٢-٧٣) ، فإن قوله فيه من الدلالة ما يكفي لان يشعرونا بجودة شعر الفرزدق وتقوئه على الشعراء الاخرين ، وأشار مالك بن الاخطل الى تلك الجزالة بقوله : ( الفرزدق ينحت في

صخر) (الاصفهاني: ١٩٧٣ ، ٢١ / ٣٩٦). وإذا كان الشاعر يحتاج الى مقومات عدة تشترك فيها عناصر الذكاء والطبع والدرية (الجرجاني: ١٩٦٦ ، ١٥-١٦) ، فضلا عن معرفته بمقاصد الكلام

وحسن التأتي ، الأمر الذي يمنحه المعرفة بسر الصناعة ومغزاه (القيرواني: ١٩٧٢ ، ١ / ١٩٩) ،

والفرزدق نجده قد جمع ذلك كله ، إذ يقول: ( أنا عند الناس أشعر الناس ، وربما مرت علي ساعة

ونزع ضرس أهون من أن أقول بيتاً واحداً ) (الجاحظ: ١٩٦٠ ، ١ / ١٩٩ ، الاصفهاني: ١٩٧٣ ،

٢١ / ٣٦٥) ، وقوله هذا دليل على إحساسه العميق بأهمية تكامل أبيات القصائد التي ينظمها من كل

الوجوه . فهو يهتم بألفاظه واختيار الجزل منها ، الغني بالصور ، ، وهي إشارة صريحة إلى تأني

الفرزدق بالشعر وعنايته به .

وقد كان الفرزدق يتمتع بجانبين مهمين في قوله الشعر ، أولهما : الفصاحة التي يلتمسها الناقد في

شعره ، وثانيهما : إمكانية الفرزدق في قول الشعر بمختلف الأغراض ، وهذا ما جعل الجاحظ يقول

عنه ان الفرزدق كان ( راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم ) (الجاحظ: ١٩٦٠ ، ١ / ٣٢١) ، وهي

إشارة إلى سعة معرفة الفرزدق بأخبار الناس وشعر الشعراء . ويشير الشريف المرتضى ( ت ٤٣٦ هـ

( إشارة واضحة لموهبة الفرزدق النقدية إلى جانب موهبته الشعرية ، إذ يعده حسن البصيرة بالشعر

قولاً ونقداً) (الموسوي: ١٩٥٤ ، ١ / ٦٢). إذ كان الشعراء يعرضون شعرهم على الفرزدق ليبت في أمر

جودته أو عدمها ، فحين عرض الكميث شعره على الفرزدق قال له : ( نفث على لساني وأنت شيخ

مضر وشاعرها ، وأحبيت ان أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير

ذلك أمرتني بستره وسترته علي) (المسعودي: ١٩٨١ ، ٣ / ٢٢٨-٢٢٩). فهذه الرواية تدل على قدرة

فائقة للفرزدق في نقد الشعر ، كما تدل على قناعة الكميث بهذه الامكانية في نقد الشعر ، فهو على

استعداد لان يحجب شعره إذا قال له الفرزدق شعرك لا يصلح لان يذاع بين الناس (ينظر: طه: ١٩٨٦ ،

المطلبي: ١٩٨٦).



لقد عُرف الفرزدق شاعراً مبرزاً ، تناقلت أشعاره الأفواه ، وجابت شهرته الأقطار ، لكنه في الجانب الآخر له العديد من الآراء النقدية الناضجة في شعر شعراء عصره ، أو من سبقهم ، فكانت هذه الآراء والمحاولات النقدية الناضجة تكشف عن امتلاكه حساً نقدياً رفيعاً ، لارتباط هذه الأحكام بالمعايير الفنية ؛ والتي أصبحت من القواعد ثابتة في النظرية النقدية العربية ؛ بما احتوته من مقاييس نقدية واضحة يدعمها ذوقه السليم ، وما عرف عنه من جرأة وصراحة وهو يطلق الأحكام النقدية الخالصة والتي عُدت من (الأسس الأولية التي بني عليها النقد العربي والتي اعتمد عليها النقاد العرب فيما بعد) (طه: ١٩٨١ ، ٧٨) ، يضاف الى ما تقدم من أسباب هيأت لبزوغ مقدرة الفرزدق النقدية ، هو تنقله بين الأسواق والنوادي الأدبية ، فقد كان أكثر الشعراء ارتياداً للمربد ، حتى شبهه بعض الباحثين بالرحلة المتنقلة من زهرة إلى أخرى من حلقات ذلك المنتدى ، شاعراً مرة ، وناقداً مرة ، ومستمعاً مرة أخرى (ينظر: هاشم: ١٩٨٢ ، ١٦٦) .

وهنا تصبح الأدوات النقدية قد استوت على يد الفرزدق ؛ من حيث اطلاعه الواسع على الشعر واللغة والعروض ، كل هذا ساعده ان يقف موقف الناقد للكثير من الشعر الذي قرأه ، وهو يتسلح بهذه المادة النقدية المتعددة الجوانب ، والمتشعبة الأطراف ، فمسألة النقد ليست اطلاق الأحكام فحسب ؛ فالاستحسان والاستهجان عملية سهلة يستطيع القيام بها كل من له إلمام بسيط بالشعر ، ولكن النقد عملية تستلزم الشخص المؤهل والمزود بقابليات وثقافة خاصة ، ساعدت فيما بعد على تكوين مفهوم نقدي استطاع من خلاله الحكم ، وان يفصل في قضايا الشعر المختلفة ، بعلمية وموضوعية متناهية ، وهنا سنتطرق إلى ابرز الآراء والقضايا النقدية التي طرقها الفرزدق ، على وفق بعض التقسيمات والآراء التي شكلت فيما بعد قضايا ونقاط مهمة في موضوعات النقد العربي القديم ، والتي نقلتها المصادر الأدبية والنقدية :

#### أولاً : بواعث الشعر ومحركاته .

شغلت قضية بواعث الشعر ودواعي القول فيه اهتمام الكثير من النقاد والدارسين للشعر العربي القديم، فالإلهام الشعري ونظم الشعر قد يأتي مطاوعة أحياناً ، لكنه يكون مستعصياً في أحيان أخرى ، لدرجة العجز عن قوله في كثير من تلك الأحيان ، فالفرزدق يصف مقدار المعاناة والمشقة التي يتعرض إليها الشاعر أثناء هذا المخاض العسير بقوله: (ربما أتت عليّ ساعةٌ لقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت شعر) (الاصفهانى: ١٩٧٣ ، ٢١ / ٣٦٥ ، القيروانى: ١٩٧٢ ، ١ / ٣٠٤) ، وهذا اعتراف من الفرزدق باستعصاء قول الشعر في كثير من الاحيان مالم تتوافر الأسباب والبواعث



لقوله ، فهو ليس بالتجربة السهلة التي يستطيع الشاعر أن يخوض غمارها متى ما أراد ، لكنه يأتي بعد معاناة وجهد كبيرين . الأمر الذي يضطره إلى البكاء والجزع عند استعصاء مجارة شاعر آخر ، وهو أمر لا يستطيع كتمانته وهو يقول: (ربما بكيت من الجزع أن الأشهب كان يهجونا ، فأريد أن أجيئه فلا يتأتى لي الشعر ) (البغدادي: ١٢٩٩ ، ٣٢/٦).

ويبدو أن فكرة الإلهام وعلاقة الشاعر بالجن كانت حاضرة في ذهن الفرزدق ، ودرجة الجودة تعتمد على علاقة الشاعر بالشیطان الذي يلهمه الشعر ، فمن حظي بواحد من هؤلاء الشياطين جاد وحسن شعره ، قالوا ان رجلاً من بني تميم ، جاء الى الفرزدق ، وقال : إني قلت شعراً ، فأنظره لي ، قال : أنشده ، فقال الرجل:

وَمِنْهُمْ عَمْرُو المَحْمُودُ نَائِلُهُ      كَأَمَّا رَأْسُهُ طِينُ الخَوَاتِيمِ

فضحك الفرزدق ، فقال : يا أخي : إن للشعر شيطانين ، يدعى أحدهما ( الهوبر ) ، والآخر ( الهوجل ) ، فمن انفرد به الأول جاد شعره وصح كلامه ، ومن انفرد به الثاني فسد شعره ، وأنها إجتماعاً في بيتك هذا ، فكان معك ( الهوبر ) في أوله فأجدت ، وخالطك ( الهوجل ) في آخره ؛ فأفسدت (القرشي: ١٩٦٣ ، ١٨٢/١) ، فهذه المقولة النقدية تحمل دلالة كبيرة على ما أراد أن يقوله الفرزدق في التأكيد على قضية (شياطين الشعراء) ، وإلهامهم قول الشعر لكثير من الشعراء ، واختصاص كل واحد من هؤلاء الشياطين بشاعر معين منهم. ومن جانب آخر تحمل المقولة السابقة قضية نقدية أخرى؛ إذ توضح الاختلال الحاصل بين شطري البيت الشعري، فالشطر الأول جيد، بينما الشطر الثاني رديء، وتركيب كلماته يبعده عن الشعر الجيد، فقد اختلف نسجه واضطرب، وكأنه لم يصدر من شاعر واحد، وهذا عيب من عيوب الشعر عندما يكون أسلوبه مختلفاً بين بيت وآخر أو بين شطري البيت الواحد .

ثانياً : تفضيل الشعر الجاهلي

يذهب الكثير من النقاد في تفضيل الشعر الجاهلي ؛ كونه الأنموذج الأمثل المعبر عن مرحلة ذهبية من مراحل الشعر العربي بوجه عام ، وهو المثال الذي ينبغي القياس عليه في الموازنات والاستشهادات المختلفة ، فقد بلغ الشعراء الجاهليون بهذا الشعر غاية المراد ، وانهم سبقوا الى كل حسن من أفنان القول ، ولم يتركوا لمتأخري الشعراء الذين جاؤوا بعدهم إلا القليل والنزر من معاني الشعر وموضوعاته .

وللفرزدق رأي نقدي في هذا السياق وهو يحكم بين الشعراء وهم يلقون القصائد على مسامعه ، فقد كان الفرزدق في مجلس نقدي ، يجالس الناس وينظر في شعر الشعراء ، إذ أتاه رجل من بني



تميم ، وقال له : قد قلت شعراً ، فأنظر فيه ، وأنشده ما قال ، فقال الفرزدق : ( يا ابن أخي : ان الشعر كان جملاً بازلاً عظيماً ، فنحر ، فأخذ أمرؤ القيس رأسه ، وعمرو بن كلثوم سنامه ، وعبيد بن الأبرص فخذ ، والأعشى عجزه ، وزهير كاهله ، وطرفة كركرته ، والنابغتان جنبيه ، وأدركناه ، ولم يبق إلا المدارع والبطون ، فتوزعناه بيننا ، فقال الجزار : لم يبق إلا الفرث والدم ) (القرشي: ١٩٦٣ ، ١/١٨٥).

تحمل إجابة الفرزدق للرجل التميمي ، نظرة نقدية ثابتة في تفضيل شعراء العصر الجاهلي وتقسيمهم في طبقات حسب نتائجهم الشعري ، وان هؤلاء الشعراء استولوا على منافذ الشعر وانفردوا بها ، ولم يبقوا لغيرهم إلا الفتات ، فتشبيهه للشعر بالجمال الكبير الذي يتقاسمه فحول الشعراء من حيث المنزلة ، وهنا يمكن ترتيب منزلة الشعراء من حيث الأفضلية على وفق ذلك الترتيب ، وهذا التقسيم للشعراء الجاهليين إذ دل على شيء ؛ فإنما يدل على نظرة نقدية وتقويمية فاحصة ، قسمت الشعراء وفاضلت فيما بينهم بتفاوت كتفاوت أجزاء الجمل من حيث أهميتها وقيمتها الغذائية ، ووفرة اللحم وجودته، فكل جزء يعطينا صورة واضحة لتقديم الشعراء واختلاف طبقاتهم الشعرية، وهو حكم نقدي من قبل الفرزدق يرجح كفة الشعراء الجاهليين وعلو مكانتهم وطبقتهم الشعرية، وتفضيلهم على من جاء بعدهم من الشعراء .

ومن صور التفضيل الأخرى للأنموذج الجاهلي للشعر، يذهب إلى المفاضلة بين الشعراء الجاهليين أنفسهم وترجيح كفة كل واحد منهم ، بحسب الموقف الذي يقتضيه الرأي النقدي وسبب القول في غرض معين، ( يروى ان الفرزدق قدم الى الكوفة ومر بمسجد لبني الأقيصر وسمع رجلاً ينشد قول لبيد :

وَجَلَّ السُّيُوءُ عَنِ الطُّلُوعِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مُتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا

فسجد الفرزدق ، فقيل له : ما هذا يا أبا فراس ؟ فقال : أنتم تعرفون سجدة القرآن ، وأنا أعرف سجدة الشعر ) (الاصفهاني: ١٩٧٣ ، ٣٤٠/٩) ، ففي هذه الرواية يتعدى الفرزدق مجرد إظهار الإعجاب والرضا، ويذهب الى فعل تلقائي، تمثل بالسجدة للدلالة على الرضا والارتياح الذي انتابه وهو يستمع إلى هذا النص الشعري الذي يمثل الأنموذج الأمثل وهو الشعر الجاهلي؛ الذي اجتمعت فيه مواصفات النص الجيد الذي لا ترقى إليه العيوب. بل يذهب في إحدى قصائده إلى أبعد من ذلك وهو يتغنى بمن سبقه من الشعراء الجاهليين ويصفهم بالنوابغ تقديراً لمكانتهم، وأنه وريث الشعراء الفحول الماضين الذين وهبوا له قصائدهم وانتنوه على فنهم ، فهو يفتخر بالتلمذ على يد الشعراء الأقدمين ، والسير على نهجهم والنظم على طريقتهم ، يقول الفرزدق(الفرزدق: ١٩٨٣ ، ٢/٢١٣):



وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْفُرُوحِ وَجَزُولُ  
خَلَّ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ  
وَمَهْلَهُلُ الشَّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ  
وَأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ  
وَأَبُو دُوَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ  
وَأَبْنُ الْفُرَيْعَةِ حِينَ جَدَّ الْمِقُولُ  
لِي مِنْ قِصَائِدِهِ الْكِتَابُ الْمُجْمَلُ  
كَاسْمِ خَالِطِ جَانِبِيهِ الْحَنْطَلُ  
صَدْعًا، كَمَا صَدَعَ الصَّفَاةَ الْمِعْوَلُ  
فَوَرِثْتُهُنَّ كَأَنَّهِنَّ الْجَنْدَلُ

وَهَبَ الْقِصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ ، إِذْ مَضَوْا  
وَالْفَحْلُ عَلَقْمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ  
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ ، وَهَنْ قَتْلُهُ  
وَالْأَعْشِيَانِ ، كِلَاهُمَا ، وَمَرْقَشُ  
وَأَخُو بَنِي أَسَدٍ عَبِيدٌ ، إِذْ مَضَى  
وَأَبْنَا أَبِي سُلْمَى زُهَيْرٌ وَأَبْنُهُ  
وَالْجَعْفَرِيُّ ، وَكَانَ بِشْرٌ قَبْلَهُ  
وَلَقَدْ وَرِثْتُ لِأَلِ أَوْسٍ مَنطِقًا  
وَالْحَارِثِيُّ ، أَخُو الْحِمَاسِ ، وَرِثْتُهُ  
دَفَعُوا إِلَيَّ كِتَابَهُنَّ وَصِيَّةً

يدل النص على سعة معرفة الشاعر الفرزدق وإلمامه بالشعر القديم ، والاطلاع على أغلب دواوين الشعراء وقراءتها قراءة فاحصة دقيقة، ولكنه من جانب آخر يحمل رؤية نقدية واضحة في تفضيل الشعراء الجاهليين وضرورة ان يبدأ الشاعر بداية صحيحة في الاطلاع على شعرهم وروايته والتعرف على طرقهم الفنية ، مما يزيد في تدعيم وصقل موهبته الشعرية ، وضرورة ان يأخذ الشعراء المحدثون بتجارب من سبقهم والاطلاع بشكل أو بآخر على نتاج المتقدمين من الشعراء ، ولا سيما شعراء العصر الجاهلي ، بوصفهم المدرسة الأولى التي يتلقون في رحابها المبادئ الأساسية لهذا الفن ؛ لأن محاولة الاهتداء بهم تعد حافزاً لا يمكن التخلي عنه في سبيل تطوير المهارات الإبداعية للشعراء المحدثين .

ثالثاً : آراؤه في شعر بعض الشعراء .

استمد هذا اللون من النقد سلطانه من مؤاخذه الشعراء في المُسَلِّمات التي تعارف عليها الناس وتواضعوا عليها، حتى لا يخطئ الشاعر فيها، فلم يكن الشعراء معصومين من الوقوع في الخطأ وإضطراب القول. فجاءت النقود في هذا السياق لتفتش في الاسلوب ، واللغة ، والغريب ، وتنافر الابيات ، والخلل العروضي، ومناسبتها للغرض الذي يقصده الشاعر، ومن ناحية السياق وترتيب المعاني، وربط بعضها ببعض ، فالحكم النقدي في هذه المسألة يستند إلى نوع من الاتفاق والتعارف على أن تكون أجزاء القصيدة متلائمة، وأن يكون سياقها مناسباً لغرضها ، ليس فيه نبو ولا فجوة، وان يبتعد الشاعر عن الخلط بين الأوصاف المضطربة والأشياء المختلفة المتفاوتة ، وهذا ما يستلزم الشخص



المؤهل والمزود بقبليات وثقافة خاصة ؛ تساعده في اطلاق الحكم النقدي الصحيح، وهذا ما وفرته ثقافة الشاعر الفرزدق ومواهبه النقدية ، والتي مكنته فيما بعد من تكوين مفهوم نقدي استطاع من خلاله الحكم على شعر كثير من الشعراء بعقلية الناقد المتمرس والموضوعي بما عرف عنه من جرأة وصراحة في اطلاق الحكم النقدي على أي واحد من الشعراء .

ويوافق الفرزدق الكثير من النقاد في تفضيل الشاعر امرئ القيس وعده الأنموذج الأرفع في حياة القصيدة العربية، فقد خصه بالتفضيل في أغراض الشعر العربي جميعها، إذ سُئل الفرزدق عن أفر بيت قاله الشعراء . فقال بيت امرئ القيس الذي يقول (ديوان امرئ القيس : ٢١٤):

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ      كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ  
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ      وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

وحين سُئل عن أحسن الأشعار ، قال البيت الذي يقول (ديوان امرئ القيس : ٢٨٨):

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا      لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابِ وَالْحَشْفِ الْبَالِي

فهو يقدم امرئ القيس في أغلب الأغراض الشعرية التي طرقها الشعراء العرب ؛ كونه قد سبقهم الى أشياء لم يسبقه إليها أحد ، يقول حماد الراوية : سألت الفرزدق : أي الشعراء أشعر في أشياء مختلفة ؟ من كان منهم أحسن تشبيهاً وأصدقهم فيه ؟ قال الذي يقول (الحاتمي: ١٩٧٩ ، ١/٤٧):

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا ... وَأَرْحُلُنَا الْجَرْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ

فالفرزدق هنا يمارس العملية النقدية بصورة تلقائية لم تكن ناتجة عن إعداد مسبق ، وجاء الحكم إجابة سريعة لسؤال السائل ، فالصورة التشبيهية التي يقدمها الشاعر صورة واقعية دقيقة ، قدمها بتعبير فني صادق بعيد عن الاغراق والمبالغة الزائفة ، وهذا ما دفع الفرزدق لتفضيل امرئ القيس ليصفه بأنه أفضل الشعراء تشبيهاً ؛ لواقعية الصورة وصدق تصويرها . وهي شهادة للشاعر بالإجادة في أكثر أغراض الشعر العربي ، وهذا ما اتفق عليه النقاد القدامى والمحدثين في تفضيل امرئ القيس في كثير من المواقف .

وبروح الناقد الموضوعي المحايد ، وعلى الرغم من التحاسد ومعركة الهجاء المستمرة آنذاك بين الفرزدق وجريير والاخلطل فانه يتجرد عن كل هذه النوازع وهو يخضع شعر منافسيه لمقاييسه النقدية ، فقد سئل الفرزدق عن نفسه وعن غريميه ، فقال : ( كفاك بي إذا افتخرت ، وابن المراغة إذا هجا ، وابن النصرانية إذا امتدح ) (السيوطي: ١٩٦٦ ، ١/١٢٣)، فيصرح بتفوق كل واحد من هؤلاء بلون شعري معين يوافق طبعه الشعري ، فهو يتقدمهم في غرض الفخر ، وجريير في غرض الهجاء ، ويحمل



الأخطل لواء غرض المديح ، بل يذهب في حكم آخر الى الاعتراف بتفوق جرير الشعري ، يروي صاحب الأغاني عن مولى لبني هاشم ، قال (الاصفهاني: ١، ١٩٧٣/٣٢٨): (امتري أهل المجلس في جرير والفرزدق ، أيهما أشعر ؟ فدخلت على الفرزدق فأخبرته ، فقال : أعن ابن الخطفي تسألني ! ثم تنفس ، حتى قلت : أنشقت حيازيمة ، ثم قال : قاتله الله : فما أخشن ناحيته وأشرد قافيته ! والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ، ولكنهم هروه ، فوجدوه عند الهراش نابجاً ، وعند الجرأة قارحاً ، وقد قال بيتاً لأن أكون قلته أحب إلي مما طلعت عليه الشمس :

إذا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بنو تميم      حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُمُ غَضابا

ويوازن بين شعريته وشعرية جرير فيقول: ( اني واياه لنغترف من بحر واحد، وتضطرب دلاؤه عند طول النهر ) (الجمحي: ١٩٨٠، ٣٧٧/١)، وهنا يعترف من جانب بشاعرية جرير؛ فهو يغترف من بحر، لكنه من جانب آخر يقر بتفوقه بطول نفسه الشعري على جرير، وهو رأي يحمل الكثير من الصحة لكل مطلع على شعر الشاعرين، فجرير ينهي الكثير من قصائده بشكل سريع يوحي بالعجز عن مجارة الخصم وعدم القدرة عن التعبير عما يريد. ثم يضيف في موضع آخر في سياق الموازنة بينه وبين جرير بالقول : ( فكان ما أحوجه مع عفاقة إلى صلابة شعري، وما أحوجني مع شهواتي الى رقة شعره ) (الاصفهاني: ١٩٧٣، ١٢/٨)، فنظرة الفرزدق النقدية ترى وجوب الانسجام بين اللفظ والمعنى الشعري المراد، فالفرزدق شاعر صاحب نزوات ومغامرات نسائية، وهذا الغرض لا يتناسب مع ألفاظه التي اتسمت بالصلابة والقوة والفخامة ، لذا فهو يتمنى ان تكون له لغة وألفاظ جرير الجزلة الرقيقة، لتساعده في التعبير عما يجول في خاطره وإيصال تجربته الغزلية بالألفاظ الموحية المناسبة للمعنى المراد.

ويشكل الانطباع حلقة مهمة من حلقات القراءة النقدية عند الفرزدق في مواجهة النص الشعري ، إذ يحكم الذوق الفطري وعاملي الاستحسان والاستهجان، استناداً الى موروث شعري متراكم افرزته طبيعة المجتمع وقيمه واعرافه وتقاليد، لذا فضل النقاد أبياتاً في الشعر دون اخرى، فكثيراً ما يرددون في أحكامهم مدح بيت وأغزل وأهجي بيت، لتكون الإرهاصات الأولى لتفضيل شاعر على آخر في غرض معين دون بقية الأغراض، أو بتقديم بيت أو بيتين على سائر ما قيل في غرض أو موضوع شعري، سُئِلَ الفرزدق عن أشعر العرب ؟ فقال : بشر بن أبي خازم . وقيل له بماذا ؟ قال بقوله (الاصفهاني: ١٩٧٣، ٤٥/١٤):

ثوى في ملحد لابد منه .... كفى بالموت نأياً واغترابا



فالتفضيل قائم هنا عن حالة الانطباع واستحسان البيت الشعري ، وما يحمل من صدق في التعبير وهو يتناول حقيقة خالدة لا مناص منها في حياة بني البشر الا وهي حقيقة الموت والفناء .  
وبروح الناقد التقويمي يقدم الفرزدق معياراً آخر لتفضيل شاعر في غرض معين أو مذهب شعري خاص ، يكون القصد منه التشجيع ورفع الروح المعنوية لشاعر مبتدئ في بداية مشواره الشعري، وتصحيح مسار القول عنده ، ومعرفة مكانته بين شعراء عصره ، وهذا ما يتبلور في موقف الفرزدق مع الشاعر الكميت بن زيد الأسدي ، يقول صاحب الأغاني : ( لما قال الكميت الشعر ، كان أول ما قاله ( الهاشميات ) ، فسترها ، ثم أتى فقال له : يا ابا فراس : إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي ، فقال له : صدقت ، فما حاجتك ؟ قال : نفت على لساني فقلت شعراً ، فأحببت ان أعرضه عليك ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره ، وكنت أولى من ستره عليّ ، فقال له الفرزدق : أما عقلك فحسن ، واني أرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأنشدهني ما قلت ، فأنشده :

**طَرِبْتُ وما شَوْقاً الى البيضِ أَطْرِبُ ....**

فقال له الفرزدق : يا ابن أخي أذع ثم أذع ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي (الاصفهانى: ١٩٧٣ ، ٢٨/١٧) ، فتفضيل الفرزدق للكميت في هذه الحادثة يحمل طابع الناقد التقويمي المشجع لشاعر في بداية مشواره الشعري ، وحثه على المثابرة ، ومواصلة قول الشعر والإجادة فيه .  
ويختلف مقياس الفرزدق النقدي مع شاعر آخر لم يوفق بالإجادة في جميع الاغراض ، فلا يكفي تنوع القول في كل الاغراض ما لم يكن هذا النتاج الشعري مشفوعاً بسمة التمييز والفردة ؛ حتى يعد الشاعر في مصاف الشعراء الفحول المفوهين ، وهذا ما ينطبق على شعر النابغة الجعدي الذي اشتهر بصفة الاختلاف في شعره ، فحين سُئِلَ الفرزدق عن شعر النابغة ، فأجاب بالقول : ( مثله مثل صاحب خلقان ، ترى عنده ثوب عصب ، وثوب خز ، والى جانبه سملٌ كساء ) (الجمحي: ١٩٨٠ ، ١٢٥/١) ، فقد أدرك الفرزدق بحسه النقدي المرفه مقدار التفاوت في شعر النابغة الجعدي وهو يتراوح بين غاية الجودة وغاية الرداءة ، مشبهاً هذه الأشعار بأنواع الملابس ، ففيها البرود اليمانية والحريز ، وهما نوعان ثمينان وهي الاشعار الجيدة ، وفيها الملابس البالية التي ليس لها قيمة وهي الأشعار الرديئة ، وهذا التناقض والتفاوت في شعر النابغة الجعدي أبعد عن مصاف الطبقات المتقدمة لفحول الشعراء ، وهذه قضية يؤديها بعض النقاد المشهورين ، ومنهم محمد بن سلام الجمحي الذي يوافق رأي الفرزدق حين



يستعرض شعر النابغة الجعدي ويصفه بالقول : ( وكان الجعدي مختلف الشعر مغلماً ) (الجمحي):  
١٩٨٠، ١/١٢٤).

ويرى الفرزدق ان اقتصار الشاعر على موضوع شعري معين ، دون الخوض في الأغراض الشعرية الاخرى ، سيكون سبباً في تأخر مكانته وطبقته الشعرية ، فإذا ما أراد أي شاعر ان يصبح في مقدمة الشعراء ، كان عليه ان ينوع في أغراض شعره ، ولا يقصر نظمه في غرض أو غرضين ، فالأقتصار على غرض واحد من فنون الشعر ، ومهما كانت الاجادة فيه ، سيؤدي بالنتيجة الى تأخير مرتبة الشاعر بين أقرانه من الشعراء ، وهذا الكلام ينطبق تماماً على الشاعر ذي الرمة ، فقد مر الفرزدق بذی الرمة وهو ينشد :

أَمَنْزَلْتِي مِي سَلَامٍ عَلَيَكُمَا هَلِ الْأَزْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

فوقف حتى فرغ منها ، فقال كيف ترى يا أبا فراس ؟ قال : أرى خيراً ، قال : فما لي لا أعد من الفحول ، فأجابه الفرزدق : (بكاؤك في الدمن ، وصفتك للأبصار والعطن) (الدينوري: ١٩٦٦، ١/٥٢٤)، وفي رواية أخرى : ( لتجافيك عن المدح والهجاء ، واقتصارك على الرسوم والديار) (المرزباني: ١٣٤٣، ٢٢٨)، فهو يرى ان الذي قصر بذی الرمة عن مرتبة الفحول؛ هو ابتعاده عن غرضي المديح والهجاء، واكثاره من وصف الصحراء والإبل، فبالمدح يستطيع الشاعر ان يصل الى أبواب الملوك والخلفاء، وينال الحظوة في مجالسهم، وتنتشر أخباره وتذيع قصائده، وكذلك الحال في غرض الهجاء الذي يدخله في مناقضات مع كبار الشعراء، والرد عليهم، وتوليد المعاني المبتكرة لهدم ما جاء به المنافسون من أبيات الهجاء، وذو الرمة أبتعد عن كل ذلك ليقصر على وصف الصحراء والإبل، وهذا ما قلل من شهرته وعض من مكانته الشعرية بين شعراء عصره، وابتعاده عن مصاف الفحول، وهذا ما يطابق رأي ابن قتيبة في هذا الموضوع ، وهو يعرض شعر ذا الرمة إذ يقول : ( فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيهاً، وأجودهم تشبيهاً، وأوصفهم لرملة وهاجرة وفلاة وماء، فإذا صار إلى المديح والهجاء، خانه الطبع، وذلك أخره عن الفحول) (الدينوري: ١٩٦٦، ١/٩٥).

رابعاً : قضية اللفظ والمعنى

ولا يقف الفرزدق عند هذا الحد في انتقاد شعر ذي الرمة ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك في قضية اكثر جوهرية ؛ الا وهي قضية اللفظ والمعنى ، إذ يرى ان شعر ذو الرمة جاد من حيث اللفظ ، لكنه قصر من ناحية المعنى ، فيقول في ذلك : ( أرى شعراً مثل بعر العيران ، ان شممت ، شممت رائحة طيبة ، وان فتت ، فتت عن نتن ) (المرزباني: ١٣٤٣، ٢١٧)، فهو شعر رائع في شكله الخارجي،



إذ يشبه أبعاد الطباء وما فيها من رائحة النبات الطيب الذي تأكله، فإذا مر عليه الوقت وتفتت ذهبت رائحته الطيبة، وبقي منه النتن وعدم الافادة منه، وهذا الشعر مجرد زينة لفظية لا تخفي تحتها معاني ذات قيمة، يطغى فيها الشكل (اللفظ) على المعنى، وهذا وحده لا يكفي لإنتاج نص يحمل سمات الجودة والانتشار، فألفاظ ذي الرمة ذات وقع جميل ورنين موسيقي عند سماعها، ولكن إذا بحثنا عن المعاني خلف هذه الألفاظ؛ فأنا لا نجد ما يثير الانتباه ويستحق الاهتمام، وهذه ميزة أخرت من مكانة ذي الرمة الشعرية، وقصرت به عن رتبة الشعراء الفحول في عصره.

ويذهب الفرزدق في آرائه النقدية إلى مستوى أكثر فنية؛ وهو يتفحص النتاج الشعري لبعض الشعراء، ونبقى في قضية الألفاظ وما يجب ان تكون عليه، في البعد عن الغرابة، وموافقة السياق العام للنص الشعري، فهو ينكر على أسماء بن خارجة قوله (الأمدي: ١٩٧٢، ٣٢٦/٢):

حَبْدًا لَيْلَتِي بَتْلًا بَوْنَا      إِذْ نُسَقَى شَرَابَنَا وَنُعْنَى

فقال الفرزدق: أفسدت أبياتك بذكر (بَوْنَا)، فقال له مالك: ففي (بَوْنَا) كان ذلك، قال: وان كان، فنقد الفرزدق هنا نابع من رفضه للغرابة في الشعر، فاستعمال لفظة (بَوْنَا) لا يلائم المعنى المراد كونه من الأسماء غير المعروفة إلا لصاحبها، أو من كان يسكن هذا المكان، فكان بإمكان الشاعر الاستعاضة بأسماء أخرى تحمل من الأحياء والشاعرية بما يرضي المتلقي وينال إعجابه، وهو ذات المعنى الذي يؤكد صاحب الموازنة وهو يعلق على البيت السابق إذ يقول: (ومن سبيل الشاعر إلا يذكر إلا ما حسن من أسماء المواضع) (الأمدي: ١٩٧٢، ٣٢٦/٢).

ويرتقي المعيار النقدي عند الفرزدق إلى مستوى أكثر من الفنية والجمالية، تظهر من خلاله شخصية الناقد المتمرس، فلا يختلط هذا المعيار بمعايير أخرى؛ بل ينبع الحكم من النص، أي ان النص هو من يقرر المعيار النقدي بما يفرضه من قيم فنية وجمالية، ولا يقرره مفهوم خارجي يفرض حكماً قسرياً جاهزاً يصلح على أكثر من نص واحد. مرَّ الفرزدق على رجل ينشد أبيات عمر بن أبي ربيعة التي تقول:

مَعِيَ فَتَحَدَّثَ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي

فَقَالَتْ وَأَرَحْتَ جَانِبَ السِّتْرِ إِنَّمَا

وَلَكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهُمْ مِنْ تَرْقُبٍ

حتى أنتهى إلى قوله :



### فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِنَهَا كَمِثْلِ الَّذِي بِي حَدْوِكَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ

وهنا قال الفرزدق : ( هذا والله الذي أردته الشعراء فأخطأته ، وبكت الديار ) (الاصفهانى: ١٩٧٣، ٨٤/١)، فهذا الحكم ينطلق من معيار فني خالص ، يعترف فيه الفرزدق بإجادة الشاعر عمر بن أبي ربيعة ، وتفوقه في غرض الغزل على من سبقه من الشعراء التقليديين الذين أكثروا من البكاء على الديار ، والوقوف على الأطلال ، ومناجاة الدمن الخوالي ، وذكر الصفات الجسدية للمرأة ، فهو يعد مبتكراً في مذهبه الغزلي الجديد ، لقدرته على الغوص إلى ما يختلج نفس المرأة تجاه معشوقها وطريقة حبها ، وكذلك عن خلجات نفسه تجاهها ، وهي أشياء لم يعرفها شعراء الغزل قبل عصر الشاعر ، والذين تمسكوا بالطريقة التقليدية وتقليدهم الواحد للآخر ، فالفرزدق يعتقد بخطأ شعراء الغزل التقليدي ، وعدم قدرتهم على التجديد والابتكار اللذان يشكلان عاملاً رئيساً مهماً في كسب المتلقين واثارة أعجابهم ، وهذا ما نجح فيه عمر بن أبي ربيعة وأسس لمذهبه الشعري الجديد .

#### الخاتمة :

فيما تقدم يمثل الجهد النقدي للشاعر الفرزدق ، وهو جهد أسهم إسهاماً كبيراً في تطوير العملية النقدية المصاحبة لقول الشعر ، وأحد الروافد النقدية التي شكلت النظرية النقدية العربية فيما بعد ، وقد كانت هذه الأحكام أحكاماً ذوقية انطباعية يخالفها التروى ، وطول النظر ، والموضوعية ؛ كونها تصدر عن تجربة صادقة ومعاناة حقيقية ، تتناول قسم منها بواعث الشعر ومحركاته ، وآراء في مختلف الشعراء وتفحص أشعارهم من حيث الأسلوب وجودته ، ومثانة تراكيبه ، وتتناول في جانب آخر المعنى من حيث ملائمته مع اللفظ أو عدم توافقه ، بعد ان اتكأت هذه الأحكام على الذوق والشعور اللذين استندا إلى حاسة فنية اكتسبها الشاعر من كثرة مراجعته للشعر ، وحفظه للنصوص الكثيرة ، مما أكسبه مقدرة نقدية متميزة مكنته من معرفة جيد الشعر وأسرار نظمه ومواطن الوهن والضعف فيه . والنص عند الفرزدق هو من يقرر المعيار النقدي دون التأثير بعامل خارجي آخر يفرض قسراً ، وهذا مؤشر لحياضية الناقد و موضوعيته ، وهو ما ظهر في الأحكام المنصفة التي اصدرها الشاعر في شعر خصومه ، وخاصة عدوه اللدود الشاعر جرير .

#### المصادر :

- ١- اعجاز القران ، الباقلائي ( ابي بكر محمد بن الطيب) ، تحقيق ، السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، د.ب .
- ٢- أمالي المرتضى ، (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٤م .



- ٣- البيان والتبيين ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٦٠م .
- ٤- حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، محمد بن الحسن بن المظفر (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق : جعفر الكناني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٧٩م .
- ٥- الحيوان ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، عبد السلام محمد هارون ، البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٣٨م .
- ٦- خزنة الادب ولب لباب لسان العرب على شرح شواهد الكافية ، عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٩هـ .
- ٧- جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣م.
- ٨- تاريخ النقد الأدبي عند العرب (من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، طه أحمد إبراهيم ، جمعه وقدم له ، أحمد الشايب ، منشورات دار الحكمة دمشق ، ١٩٧٤ .
- ٩- تاريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر ، د. احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧١م .
- ١٠-طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق ، أبو فهر محمود محمد شاكر ، السفر الأول ، المدني المؤسسة السعودية بمصر ، ١٩٨٠ .
- ١١-العمدة (في محاسن الشعر وآدابه ونقده) ، ابو الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، حققه وفصله وعلق حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، منشورات دار الجيل ، ط٤ ١٩٧٢ .
- ١٢-مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ، ترجمة : د. محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة (١١٠) ، الكويت ، ١٩٨٧ .
- ١٣-لسان العرب لابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين ، دار صادر ، بيروت ط١ . ١٩٥٥ .
- ١٤-الاجاني ابو فرج ، علي بن الحسين الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، تحقيق : عبد الكريم الغرابوي ومحمود محمد غنيم ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
- ١٥-ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٥ ، ٢٠١٤ .
- ١٦-ديوان الفرزدق ، شرح وتحقيق عبد الله بن اسماعيل الصاوي ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٣٦هـ .
- ١٧-ديوان المعاني ، ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ .
- ١٨-شرح شواهد المغني، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت ٩١١هـ) ، صححه وعلق عليه: محمد محمود الشنقيطي، دمشق، ١٩٦٦ .
- ١٩-شرح ديوان الفرزدق: ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا حاوي، منشورات دار الكتب اللبناني ،مكتبة المدرسة، ط١، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.
- ٢٠-شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، (ت ٦٥٥هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د.ت) .
- ٢١-الشعراء نقاداً ( دراسات في الادب الاسلامي والاموي ) ، د. عبد الجبار المطلبي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٦ .
- ٢٢-الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م، وطبعة بيروت، دار صادر.
- ٢٣-الشعراء ونقد الشعر منذ الجاهلية حتى القرن الرابع الهجري ، د. هند حسين طه ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٨٦م .
- ٢٤-العقد الفريد ، ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربة الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق : احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٤٠م .



- ٢٥-فائدة الشعر وفائدة النقد ت. س. اليوت، دار القلم، بيروت .
- ٢٦-الفرزدق، ممدوح وافي، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- ٢٧-مروج الذهب، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، تح: يوسف اسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨١ م.
- ٢٨-الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، ابو عبيد الله المرزباني (ت ٣٨٤هـ)، جمعية نشر الكتب العربية، ١٣٤٣ هـ.
- ٢٩-الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري، ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: السيد احمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢ م.
- ٣٠-محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصبهاني(ت ٥٠٢هـ)، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩.
- ٣١-الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي البجاوي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ٣٢-يونس بن حبيب، د.حسين نصار، المؤسسة العربية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- ٣٣-النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، هند حسين طه، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١.
- ٣٤-الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري، علي محمد هاشم، بغداد، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢.